التفسير والتأويل في علوم القرآن: دراسة في المفهوم

Tafsīr (Explanation) and *Ta'wīl* (Interpretation) In Qur'anic Sciences: A Conceptual Study

Tafsīr dan Ta'wīl di dalam Ulumul Qur'an: Sebuah Studi Konsep

عبد الرحمن حللي ★

مستخلص البحث

يمثل مصطلحا "التفسير" و"التأويل" – اللذان كان لهما حضورهما الممتد في مختلف العلوم العربية الإسلامية – نموذجاً للمفاهيم المشكلة التي ثار حولها الكثير من الجدل في التراث الفكري للمسلمين. وهذا البحث محاولة لتتبع هذين المصطلحَيْن واستخدامهما بدءًا من النصوص الشرعية الأصلية (القرآن والحديث النبوي)، فاللغة، فالاستخدام المبكر لهما عند العلماء، وذلك من أجل توضيح السياقات التي استخدما فيها. ويسعى الباحث بذلك إلى ضبط الفروق بين المفهومين اللذين يعبر عنهما هذان المصطلحان قدر الإمكان، والكشف عن الرابط الأساسي الذي ينتظم تلك الفروق. وقد رصد البحث استعمال المصطلحين في القرآن الكريم بمعان لا تخرج عن المعنى اللغوي، وتبين مجيء معنى التأويل في السنة على نحو يتطابق مع الاستعمال الاصطلاحي اللاحق الذي جرى على أيدي العلماء. ومن ناحية أخرى بين البحث أن "التفسير" و"التأويل" قد استخدما مبكرًا بمعنى واحد، ولاسيما عند علماء اللغة والمفسرين، كما برز المعنى الخاص للتأويل متميزًا عن التفسير في زمن مبكر أيضًا، وربما كان أقدم استخدام اصطلاحي له عند الإمام الشافعي

* دكتوراه في العلوم الإسلامية من جامعة الزيتونة، عضو الهيئة التدريسية في كلية الشريعة بجامعة حلب، البريد الإلكتروني: ahelali2000@gmail.com

في كتاب "الرسالة". ثم اتسع استعمال مصطلح "التأويل" عند المتكلمين، وخصوصًا فيما يتعلق بفهم الآيات المتشابهات. وقد انتهى الباحث من متابعته لحركة المصطلحين موضوع الدرس إلى أن التفسير والتأويل في جوهرهما مستويان للتعامل مع النص يُتوسل في كل منهما بأدوات وعناصر تسهم في معرفة المقصد من اللفظ، فهما منطلقان منهجيان لهما ضوابطهما العلمية وامتداداتهما الفكرية في فروع العلوم الإسلامية، التي يضبط كل منها زاويةً من زوايا النظر التفسيري والتأويلي للنص.

الكلمات الأساسية: التفسير، التأويل، المصطلح، المفهوم، المعنى الاصطلاحي، علوم القرآن.

Abstract

Having a widespread presence in the different disciplines of Arab-Islamic scholarship, *tafsīr* and *ta'wīl* belong to a category of problematic and controversial concepts in Muslim intellectual heritage. This study attempts to trace out these two terms and their usage in the scriptural sources (the Qur'an and the Traditions of the Prophet), the Arabic language, and their early use by scholars, with a view to shedding light on the contexts in which they had been used. The author aims by that at determining as precisely as possible the differences between the concepts expressed by these two terms and bringing to light the main thread knitting those differences together. The study has found that *ta'wīl* has been used in the Qur'an in a sense that does not depart from the linguistic meaning, while it has been used in the Prophetic Traditions in a way that conforms to the later conventional usage of scholars. The study has also shown that and *ta'wīl* had been used by early scholars, especially linguists and Qur'an exegetes, synonymously, while the term of *ta'wīl* had also been used distinctively from the term of *tafsīr*. It is likely that the earliest technical use of *ta'wīl* is by Imān al-Shāfiʿī in his book *al-Risālah*. Then this technical usage of *ta'wīl* became much widespread at the hands of Muslim theologians (*mutakallimūn*), particularly when dealing with allegorical Qur'anic verses (*mutashābihāt*). The author has concluded that *tafsīr* and *ta'wīl* represent two levels of dealing with text whereby each level depends on tools and elements that contribute to the purport of terms. They constitute two well determined methodological springboards that have their intellectual dimensions in the different branches of Islamic sciences, thus pinpointing two angles in the explicatory and interpretive examination of the text.

Key terms: *Tafsīr*, *ta'wīl*, term, concept, technical meaning, Qur'anic sciences.

Abstrak

Istilah "Tafsīr" dan Ta'wīl" telah dikaji dengan luas dalam warisan intelektual Islam, justru telah dikenal dan dijadikan perbincangan ilmiah

yang luas di kalangan ulama-ulama Islam. Dan kajian ini mencuba untuk mengulang kaji dua istilah tesebut bermula dengan menelusuri dari teks asal (Quran dan Hadis), bahasa, dan penggunaan awal akan dua istilah tersebut di kalangan para ulama, dan kemudian menjelaskan konteks di mana mereka telah menggunakannya. Dan penyelidik juga akan mengkaji perbezaan antara kedua-dua konsep dan melihat pengesanan pautan yang ada pada perbezaan ini. Penyelidik melihat bahawa kedua-dua istilah ini digunakan di dalam al-Qur'an tidak keluar dari pada konteks erti bahasa, sedangkan di dalam hadis-hadis penggunaan istilah ta'wil sesuai dengan yang digunakan oleh para ulama'. Penyelidik juga mendapati bahawa istilah "tafsir" dan "ta'wil" telah digunakan untuk masa awal, mungkin penggunaan tertua dipautkan kepada Imam Shafi'i dalam bukunya "al-Risalah". Dan kemudian ulama' ahli ilmu kalam meluaskan penggunaan "ta'wil" terutama dalam memahami ayat-ayat *mutashābihāt*. Penyelidik akhirnya sapai pada kesimpulan bahawa istilah "tafsir" dan "ta'wil" adalah dua peringkat yang dalam asasnya adalah dua cara untuk berinteraksi dengan teks-teks agama sebagai alat dan unsur-unsur mencari *maqṣad* (matlamat) setiap perkataan. Tafsir dan ta'wil metode yang mempunyai kriteria masing-masing dalam cabang ilmu Islam, yang menyesuaikan setiap unsur untuk matlamat tafsiran teks-teks al-Qur'an.

Kata kunci: *Tafsīr*, *ta'wīl*, istilah, konsep, erti bahasa, ilmu-ilmu al-Qur'an.

تمهيد

يمثل القرآن الكريم منطلق العلوم الإسلامية وحاضنها، فمن أجل فهمه نشأت تلك العلوم وتطورت إلى أن استقلت بمناهج خاصة بها، وهي بدورها أصبحت بعد تطورها وفي نتائجها خادمة للنص القرآني وأداة موظفة لفهمه، أو على الأقل وفرت مادة ترتقي بثقافة المفسر التي لها أثرها في توجيه الفهم. ومحورية القرآن هذه إنما كانت لما له من دور مركزي في التحول الجذري الذي تركه في بيئة عصر التنزيل وفي تاريخ العالم العلمي والحضاري. وعندما نتحدث عن النص القرآني (وأي نص آخر)، فإننا في الواقع نتحدث عن اللغة، واللغة أداة تواصل ووعاء فكر. فالقرآن بما هو معان أنزلت بلغة العرب، يقتضي أن التغيير الذي أحدثه إنما كان للغة القرآن الأثر الأبرز فيه، إذ كانت محرضًا على التفكير والتأمل والمراجعة والتساؤل، فكان النص القرآني صادماً للعرب بلغته التي تحدت فصاحتهم وبيانهم، واخترقت حكمته عقولهم. والجديد

على العرب في هذا النص إنما هو أسلوبه في التعبير عن المعنى، وتوظيفه كلام العرب للتعبير عن مفهومات قرآنية جديدة تحولت بالكلمات من قالبها التقليدي لتتنزل بثوب مفهومي جديد، فكانت معاني القرآن مفهومة من قبل العرب لغة، لكنها أوسع من معارفهم معنى وأبعد دلالة، فكان حث الخطى بحثاً عن هذه الدلالات القرآنية المنطلق لما تولد من علوم ومعارف في الحضارة الإسلامية.

وكانت أولى تلك المحاولات جهود البحث في غريب القرآن ومعانيه، وقوانين فهم تراكيبه، فتطور التفسير بمناهجه المختلفة، وتداخل الدرس القرآني مع العلوم الأخرى، لتتضافر جميع العلوم في فهم المعنى القرآني. وهذه النشأة المبكرة للعلوم في الحضارة الإسلامية تدل على الوعي المنهجي المبكر لأهمية الضبط العلمي، فقد نضجت أصول العلوم الإسلامية ومبادئها قبل منتصف القرن الثاني للهجرة، ولا أدل على هذا النضج من الوصول إلى تجريد الموضوعات وسبرها وتقسيمها ومقارنتها والاصطلاح المنهجي في مقاربة العلوم[1]. ولذلك كان مهمًّا جدًّا مقاربة مصطلحات العلوم من حيث إنها تمثل واحدة من أهم عناصر المنهجية في العلوم الإسلامية، وفي هذا الإطار تأتي هذه المقاربة لمصطلحيْ "التفسير" و"التأويل" لاسيما في حقل علوم القرآن.

والسؤال الأبرز الذي تبحث هذه الدراسة عن الإجابة عليه هو دلالة هذين المصطلحين في سياق التعامل مع النص القرآني، والفرق بينهما في هذا الخصوص. فطبيعة الدراسة مفهومية تعنى برصد السيرة الذاتية لمصطلحيْ "التفسير" و"التأويل" في علاقتهما بالقرآن، وليس من غرضها النظر فيما أثير حول التأويل من إشكاليات وجدل تاريخي ومعاصر. فتلك الإشكاليات كانت في سياق أوسع من سياق التعامل مع النص، ومترع الإشكال فيها يرجع إلى جدلية العقل والنقل، وما تركته الأسئلة

[1] يمثل ما وصلنا من كتب مقاتل بن سليمان (ت150هـ) أهم شاهد على ذلك، فقد تضمنت عناوين مثل: "الأشباه والنظائر في القرآن"، وتفسير كامل للقرآن اعتنى فيه بكليات القرآن، وتفسير لخمسمائة آية من آيات الأحكام.

الفلسفية من مسائل عقدية كان التأويل أحد محاور الإجابة عليها بما هو أعم من المنظور الداخلي للتعامل مع النص. وعليه فإن عنوان البحث إذ يحصر تأريخ المصطلحين/المفهومين في علوم القرآن، لا ترد عليه أسئلة التأويل الفلسفية والكلامية التي كانت مجال بحوث كثيرة لم يكن من مشاغلها معالجة سؤال البحث الذي نحن بصدده، وإن كانت لا تنفصل عن تلك الإشكاليات انفصالاً كليًّا.

ترجع أهمية درس مصطلحيْ التفسير والتأويل من ناحية كونهما مدخلاً منهجيًّا للتعامل مع النص القرآني، ومع ذلك وعلى الرغم من قدم استعمالهما، إلا أنهما لا يزالان موضع تداخل والتباس يرجع إلى عدم ضبطهما تأثراً باستعمال التأويل في سياقات أخرى عقدية وفلسفية. ولذلك تحاول هذه الدراسة رسم مسيرة هذين المصطلحيْن في سياق علوم القرآن مع الاستعانة والمقارنة بمصادر أوسع نظرًا للتداخل الذي أشرنا إليه. وهذا الغرض والبعد المفهومي للدراسة جعل منهجية البحث تاريخية وصفية تحليلية، وجعل أسئلة التأويل وإشكالياته الفلسفية والكلامية خارج موضوعه ودائرة تركيزه. ومع ذلك فعلى الرغم من كثرة الدراسات والرسائل العلمية في مقاربة التأويل من زواياه الإشكالية، لم أجد – فيما اطلعت عليه – دراسة تؤرخ للتفسير والتأويل مفهوميًّا في حقل علوم القرآن، مع أهمية مثل هذه الدراسة وكونها تؤسس لفهم منهجية التعامل مع النص القرآني. وهذا ما سوغ هذه الدراسة تجليةً وحصر ما قيل في معاني المصطلحين والمقارنة بينهما، وفهم المنهجية العلمية التاريخية للتعامل مع النص من خلالهما.

ولتحقيق هذا الغرض ستتناول هذه الدراسة الاستعمال القرآني لمصطلحي "التفسير" و"التأويل"، ثم المعنى اللغوي لهما، والاستعمال المبكر لهما من قبل العلماء، وتفصيل ما قيل في أوجه الفرق بين المفهومين، مع محاولة تقريب هذه الفروق وردها إلى أصل يجمعها، في محاولة لإثبات مستويين في منهجية التعامل مع النص القرآني

نفترضهما، هما "التفسير" و"التأويل".

الاستعمال القرآني لمصطلحي "التفسير" و"التأويل"

لم ترد كلمة "تفسير" في القرآن غير مرة واحدة منسوبة إلى الله تعالى، مقترنة بفعل التفضيل "أحسن"، في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣﴾ (الفُرْقَان: 32-33). وقد بينت التفاسير معنى الآية بأنه أحسن تبيانًا وأحسن معنى وتفصيلاً، وأن أصل التفسير هو الكشف عما يدل عليه الكلام[1].

أما لفظ التأويل فقد ورد جذره (أوَل) في القرآن من خلال اثني عشر اشتقاقًا وردت في 420 موضعاً، أما صيغة "التأويل" فقد وردت في سبعة عشر موضعاً، في خمس سور مكية وسورتين مدنيتين، وقد ارتبط هذا اللفظ في القرآن بتأويل الرؤى والأحلام والأحاديث، أو تأويل الكتاب، أو ما يتعلق بعاقبة بعض الأفعال.

ومعنى التأويل في القرآن هو التحقق والوقوع سواء لما ورد في الكتاب أو الرؤى والأحلام أو المآلات والعواقب المترتبة على الأفعال، فالتأويل في الاصطلاح القرآني: "ما يصير إليه القول أو الفعل من عاقبة وتحقق في عالمي الغيب أو الشهادة"، ويضاف إلى هذا المعنى في اصطلاح الحديث النبوي "مصير ألفاظ القرآن إلى المعاني المرادة لله تعالى منها" وهو المعنى الذي ورد في دعاء النبي ﷺ لابن عباس: «اللهم فقه في الدين

---

[1] انظر: الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق أحمد محمد شاكر (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م)، ج19، ص267؛ الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق علي معوض وفتحي حجازي (الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 1418/1998م)، ج4، ص349؛ أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف**البحر المحيط** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1993م)، ج6 ص456.

وعلمه التأويل»[1]، فالتأويل بمعنى تصيير الألفاظ إلى المعاني إضافة استُمِدَّت من هذا الحديث وجعلت التأويل مرتبطاً بمعنى التفسير[2].

وعليه فالتفسير في القرآن استعمل بمعناه اللغوي الدال على الكشف والتبيان، وكذلك استعمل التأويل بمعناه اللغوي الدال على التحقق والوقوع والمآلات. وفي السنة النبوية أضيف للتأويل معنى يقترب من المعنى الاصطلاحي العلمي اللاحق، وهو معرفة مآلات الألفاظ ومعانيها، وقد فسر بالتفسير في هذا السياق.

المعنى اللغوي للتفسير والتأويل

التفسير لغة: الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحه. والفَسْرُ البيان وكشف المُغَطّى، فَسَرَ الشيءَ يفسِرُه بالكَسر وتَفْسُرُه بالضم فَسْراً وفَسَّرَهُ أَبانه، والتَّفْسيرُ مثله، والتفسير هو بيان وتفصيل للكتاب، وكشف المراد عن اللفظ المُشْكل، وفَسَره يفسِره فَسْراً، وفَسَّرَه تفسيراً. والفَسْر والتَّفسرَة: نظَر الطَّبيب إلى الماء وحُكمهُ فيه، وكلُّ شيءٍ يُعرفَ به تفسيرُ الشيءِ فهو التَّفسِرةُ[3].

فالفسر إظهار المعنى المعقول، والتفسير في المبالغة كالفسر، والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها، وفيما يختص بالتأويل، ولهذا يقال: تفسير الرؤيا وتأويلها[4]. ويمكن أن نلخص ضابط المعنى اللغوي للتفسير بأنه **الكشف عن معنى**

---

1 ابن حنبل، الإمام أحمد، **المسند** (بيروت: عالم الكتب، ط:1998م) رقم 3033، ج1، ص328.

2 انظر تفصيلاً حول التأويل في القرآن والسنة: زمرد، فريدة، **مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث الشريف** (فاس: معهد الدراسات المصطلحية، ط 2، 2005م) ، ص 118، 128، 132-135، 141.

3 انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي (القاهرة: دار ومكتبة الهلال، د.ت)، ج7، ص247؛ ابن فارس، أبو الحسين أحمد، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون (بيروت: دار الفكر، 1979م)، ج4، ص504؛ الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط** (د.ط) ص587؛ ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج5، ص55.

4 انظر: الأصفهاني، الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق صفوان عدنان داوودي (دمشق: دار القلم ط:3،

اللفظ والتعريف به بلفظ آخر.

التأويل لغة: آلَ إليه أوْلاً ومَآلاً: رَجَعَ وعنه: ارْتَدَّ، ومن هذا الباب تأويل الكلام، وهو عاقبتُهُ وما يؤُولُ إليه، وذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ (الأعراف: 53). أي ما يَؤُول إليه في وقت بعثهم ونشورهم. وأوَّلَ الكَلامَ تَأْويلاً وتَأَوَّلَه: دَبَّرَهُ وقَدَّرَهُ وفَسَّرَهُ، والتأويلُ:عبارَةُ الرُّؤْيا[1]. "والتَّأَوُّل والتَّأْويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصحّ إلاّ ببيان غير لفظه"[2]، يقال أُلْتُ الشيءَ أَؤُوله إذا جمعته وأَصلحته، فكان التأْويل جمع معاني أَلفاظ أَشكَلَت بلفظ واضح لا إشكال فيه[3]. وقال ابن الأثير: "والمراد بالتأويل نقْل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليلٍ لولاه ما تُرك ظاهر اللفظ"[4]، وجاء في القاموس: "التأويلُ رَدُّ أحَدِ المُحْتَمِلَيْنِ إلى ما يُطابِقُ الظاهر"[5].

ويلخص الراغب الأصفهاني المعنى بقوله: "التأويل من الأول، أي الرجوع إلى الأصل، ومنه: الموئل للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو **رد الشيء إلى الغاية المرادة منه**، علماً كان أو فعلاً" ومنه قوله تعالى:﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ (آل عمران:7)، وقوله تعالى:﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ (الأعراف:53)، أي بيانه

2002م)، ص 636، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق عبد العليم الطحاوي (بيروت: المكتبة العلمية، د.ت)، ج1 ص1206

[1] انظر:ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج1، ص159- 162؛ الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص1244.

[2] الفراهيدي، **العين**، ج8، ص369.

[3] ابن منظور، **لسان العرب**، ج11، ص32.

[4] ابن الأثير الجزري، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد، **النهاية في غريب الأثر**، تحقيق محمود الطناحي وطاهر الزاوي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ج1، ص80. وقد أورد هذا التعريف في سياق بيان معنى حديث ابن عباس رضي اللّه عنهما: «اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل»، سبق تخريجه.

[5] الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ج1، ص587 (مادة فسر).

الذي هو غايته المقصودة منه، وقوله تعالى:﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴾ (النساء:59) قيل: أحسن معنى وترجمة، وقيل: أحسن ثواباً في الآخرة[1]. "وقيل اشتقاقه من الإيالة بمعنى السياسة. تقول العرب: "أُلْنا وإيل علينا"، أي سُسْنا وسيس علينا، أي ساسنا غيرنا. وعلى هذا يكون معنى التأويل **أَن يسلِّط المؤوِّل ذهنه وفكره على تتبّع سرِّ الكلام إلى أَن يظهر مقصودُ الكلام، ويتَّضح مراد المتكلِّم**"[2].

ويمكن أن نلخص ضابط المعنى اللغوي للتأويل بأنه **الوصول إلى معنى الكلام ومعرفة الغاية منه وقصد المتكلم**.

الاستعمال المبكر لمصطلحيْ التفسير والتأويل

نسب ابن النديم (ت 380هـ) لضرار بن عمرو (ت نحو180هـ) كتاب "تأويل القرآن"، كما نسب لبشر بن المعتمر المعتزلي (ت 210هـ) كتاب "تأويل متشابه القرآن"[3]. ولعلهما من أقدم ما حمل مصطلح التأويل في العنوان، لكن العنوان الثاني يحمل دلالة ربط التأويل بالمتشابه، لاسيما وأن السياق المعتزلي كان له الأثر الأبرز في درس المتشابه وتوجيهه، ويرجع الربط بين التأويل والمتشابه إلى آية آل عمران المشهورة[4].

وقد مهد لخوض المعتزلة في التأويل ما كان لأعلام مثل الجعد بن درهم (ت نحو 118هـ)، والجهم بن صفوان (ت 128هـ)، وواصل بن عطاء (ت 131هـ)، وعمرو بن

---

[1] الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص99

[2] الفيروزأبادي، **بصائر ذوي التمييز فى لطائف الكتاب العزيز**، ج1 ص55.

3 انظر: ابن النديم، **الفهرست** (د.ط، د.ت)، ص205، و215

4 ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (آل عمران: 7).

عبيد (ت 144هـ) من آراء تصنف تحت عنوان التأويل في سياق تنـــزيه الذات الإلهية عن شوائب التمثيل والتشبيه بالمخلوقات، وما نشأ في هذا السياق من جدل عقدي كان التأويل عنوانه، بمعزل عن صلته بالتفسير أو النص وإن كانت الآيات المتشابهات واحدة من أهم ما أثار ذلك الجدل.

أما أقدم استعمال اصطلاحي في المصنفات العلمية التي وصلت إلينا فنجده عند الإمام الشافعي (ت 204هـ) ، فقد ورد لفظ التأويل في كتابه "الرسالة" في ثمانية مواضع، حيث تحدث عن الخطإ في التأويل في فهم السنة[1]، كما وصف تفسيره بعض الأحاديث بالتأويل[2]، وكذلك فهم بعض الصحابة للسنة بمعنى يحتمله التأويل[3]، ونفى احتمال الغلط في التأويل في العلم العام الذي هو من قبيل ما لا يتنازع فيه[4]. واقترن في الأماكن الأربعة الأخرى بلفظ الاحتمال، كقوله: "**وما كان منه يحتمل التأويل**"[5]، وذلك في سياق حديثه عن العلم الخاص. وفي موطن آخر يفرق الشافعي بين أحكام القرآن وما احتمل التأويل منه، ويرى أنه "يستدل على ما احتمل التأويل منه بسنن رسول الله ﷺ"[6]، وفي المرتين الأخريين ذكر ما يحتمل التأويل على أنه نموذج للاختلاف الجائز والذي عليه دليل[7].

هذه الموارد التي استعمل فيها الإمام الشافعي مصطلح "التأويل" دون تعريف مبتدأ له، تدل على أن معناه مستقر في السياق العلمي الذي يتناوله، والمعنى الذي يعبّر عليه واضح الدلالة على كونه **رأي المجتهد في فهم النصوص المستند إلى احتمال**

---

[1] الشافعي، الإمام محمد بن إدريس، **الرسالة**، تحقيق أحمد محمد شاكر (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ص219.

[2] المصدر نفسه، ص291.

[3] المصدر نفسه، ص330.

[4] المصدر نفسه، ص359.

[5] المصدر نفسه، ص359.

[6] المصدر نفسه، ص510.

[7] المصدر نفسه، ص560-561.

يقتضيه، لذلك ورد قيد احتمال التأويل في معظم الموارد، ويتأكد هذا المعنى بنفيه التأويل عند انتفاء الاحتمال في المسائل الظاهرة والمقطوع بها من العلم العام، فإذا أردنا أن نلخص ما استقر عليه معنى التأويل في عصر الشافعي من خلال "الرسالة" يمكن أن نضع قيدين له، الأول أن يكون **اجتهادًا في نص**، والثاني أن تكون **دلالته ظنية فيها احتمال للمعنى الذي يتجه إليه المؤول**. والسياقات التي يتحدث عنها الإمام الشافعي تتعلق بالأحكام الفقهية المستنبطة من القرآن والسنة.

هذا المعنى المبكر في السياق الأصولي المتجه للنظر في النصوص المشكلة وترجيح أحد احتمالات معانيها كان عنوانًا صريحًا لمؤلفات حملت لفظ التأويل ككتابي ابن قتيبة (ت 276هـ) "تأويل مشكل القرآن"، و"تأويل مختلف الحديث". وسيجد المعنى الأصولي للتأويل انتشاراً في السياق العقدي، وفي مصنفات الجدل الكلامي اللاحق. وسنجد عبارة "أهل التأويل" تتكرر في كتب المتكلمين كالإمام الأشعري (ت 324هـ)[1]، وسيحمل كتاب الإمام أبي منصور الماتريدي (ت 333هـ) عنوان "تأويلات أهل السنة"[2] في دلالة واضحة على استقرار مصطلح "التأويل" بين المتكلمين، وموضوعه الأبرز هو المتشابه، ولن يخرج معناه الاصطلاحي في السياق الكلامي عن استعمال الإمام الشافعي للتأويل في الرسالة، أو التعريف الأصولي للتأويل كما حرره إمام الحرمين الجويني (ت 478هـ) بقوله: "التأويل رد الظاهر إلى ما إليه مآله في دعوى المؤول"[3]. فهذا المعنى الأصولي كان

---

1 انظر: الأشعري، أبو الحسن، **الإبانة عن أصول الديانة**، تحقيق فوقية حسين محمود (القاهرة: دار الأنصار، ط:1، 1397هـ)، ص35؛ **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، تحقيق هلموت ريتر (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، د.ت)، ص278، 476.

2 قال الماتريدي: "التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة". انظر: البخاري، علاء الدين عبد العزيز بن أحمد، **كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي**، تحقيق عبد الله محمود عمر (بيروت: دار الكتب العلمية ط1، 1997م)، ج1، ص70.

3 الجويني، إمام الحرمين، **البرهان في أصول الفقه**، تحقيق عبد العظيم الديب، (قطر: طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، ط1، 1399هـ) ج1، ص511.

حاضرًا بقوة في علم الكلام لاسيما مع الأصوليين المتكلمين كالغزالي والرازي والآمدي وآخرين، لكنه يتجه إلى المسائل العقدية وآيات الصفات بالخصوص.

في سياق آخر سيتخذ مصطلح التأويل طريقه إلى جانب اصطلاح "التفسير" المستقر منذ عهد الصحابة، وأقدم مصنف وصل إلينا يحمل عنوانه هذا المصطلح هو "التفسير الكبير" لمقاتل بن سليمان (ت 150هـ). وقد استعمل التأويل بمعنى التفسير منذ عهد النبي ﷺ، وذلك في دعائه لابن عباس كما رأينا، وهذا المعنى هو الشائع عند كثير من اللغويين، جاء في "مجاز القرآن" لأبي عبيدة (ت 208هـ): "التأوِيل: التفسير"[1]، وهو شائع بين المفسرين أيضًا، ومن هذا الباب ما جرى عليه الإمام الطبري في تفسيره، فإنه كثيراً ما يقول إذا شرع في تفسير آية: "القول في تأويل قوله تعالى"، كما سنبينه.

على أن إطلاق اسم التفسير والمفسرين على علم فهم كتاب الله والمشتغلين به كان أمراً شائعًا جدًّا، وهو ما نجده في مصنفات المتقدمين لاسيما اللغويين الذين ميزوا أنفسهم في أعمالهم المتصلة بالقرآن لغة عن أعمال المفسرين، فتواترت في كتبهم النسبة إلى التفسير على أنه علم معهود، كقولهم "جاء في التفسير" و"عند المفسرين". نجد هذا عند الفراء (ت 207هـ)[2] والأخفش (ت 215هـ)[3] وغيرهما، فقد ميزوا أعمالهم المتصلة بالقرآن، وربما استخدموا عبارة "أهل التأويل" تعبيراً عن المفسرين لاسيما في الآيات

---

[1] أبو عبيدة، معمر بن المثنى، **مجاز القرآن**، تحقيق محمد فواد سزگين (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1381هـ)، ج1، ص86. وعن ثعلب: "التَّفْسيرُ والتَّأويلُ واحدٌ". الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص587. "وسئل أَبو العباس أَحمد بن يحيى عن التأْويل فقال: "التأْويل والمعنى والتفسير واحد". ابن منظور، **لسان العرب**، ج5، ص55.

[2] الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، **معاني القرآن**، تحقيق أحمد يوسف النجاتي وآخرون، (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، د.ت)، ج1، ص20، 47، 122، 167، 200، 286، ج2 ص22، 59، 118، 172، 208، 211، 255، ج3 ص119، 156، 232، 249، 370.

[3] الأخفش، أبو الحسن البلخي (ت 215هـ)، **معاني القرآن**، تحقيق هدى محمود قراعة، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 1411هـ/1990م)، ج1، ص61، 139، ج2، ص508.

المتصلة بالعقيدة[1].

ولئن كان أمراً طبيعيًّا حضور مصطلح التفسير بما هو كشف عن المعنى، فإن مما يلفت النظر هذا الحضور المبكر لمصطلح التأويل تأصيلاً واستعمالاً في سياق استقر فيه معنى التفسير. فبالعودة إلى كتاب العين للخليل بن أحمد (ت 170هـ) – وهو أوّل معجم في العربية – نجده يوضح التأويل بالتفسير يقول: "والتَّأَوُّل والتَّأْويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصحّ إلاّ ببيان غير لفظه"[2]. ويفهم من هذا الكلام وجود قدر مشترك بين التفسير والتأويل هو بيان معنى الكلام، فثمة أركان أساسية للعملية التفسيرية والتأويلية هي اللفظ والمعنى، وعملية الوصول إلى المعنى بغير اللفظ هي تفسير وتأويل، فجوهر التفسير والتأويل واحد من حيث المنطلق والغاية. وهذا البعد هو مرجع من سوى بين التفسير والتأويل، فالتأويل والتفسير بحث في اللفظ (المنطلق) لتحصيل المعنى (الغاية).

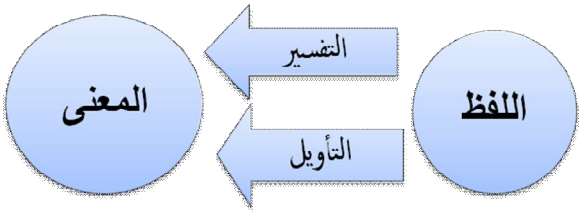

فدراسة النص القرآني هي الحاضن المنهجي الأول لولادة مفهومي التفسير والتأويل، بحثاً عن الغاية من اللفظ، أو المعنى الذي يطلب من المخاطب فهمه، فهي ولادة مبكرة للمفهومين لا تنفصل عن احتضان النص القرآني لهما، ويحمل الشيوع المبكر لاستعمالهما دلالة على التأصيل المبكر لمنهجية النظر في آي القرآن، ولأهميتهما استمر استعمالهما والتنظير للعلاقة بينهما، وكانا مثار جدل ونقاش استمر قروناً لاحقة، وكثرت معايير ضبطهما والتفريق بينهما تبعاً لوجهات النظر فيهما، وذلك ما نبينه في الفقرة الموالية.

---

[1] الفراء، **معاني القرآن**،، ج1، ص229، الأخفش، **معاني القرآن**، ج1، ص70، 157، 186.

[2] الفراهيدي، **العين**، ج2، ص198.

أوجه الفرق بين مفهومي التفسير والتأويل

تتوزع المقاربات في بيان معنى التفسير والتأويل إلى فريقين أساسيين الأول يرى التساوي بينهما، والثاني يرى فروقاً بينهما، واختلف هذا الاتجاه الثاني في ضبط الفرق بين التفسير والتأويل، قال ابن الجوزي (ت 597هـ): "اختلف العلماء: هل التفسير والتأويل بمعنى أم يختلفان فذهب قوم يميلون إلى العربية إلى أنهما بمعنى وهذا قول جمهور المفسرين المتقدمين، وذهب قوم يميلون إلى الفقه إلى اختلافهما فقالوا التفسير إخراج الشيء من مقام الخفاء إلى مقام التجلي، والتأويل نقل الكلام عن وضعه فيما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ فهو مأخوذ من قولك آل الشيء إلى كذا أي صار إليه"[1]، وسنحاول استجلاء هذه الأقوال من خلال اتجاهين أساسين:

الاتجاه الأول: التساوي بين التفسير والتأويل

هذا الرأي – كما أشرنا سابقاً – هو ما يتجه إليه اللغويون، وقد عرَّفوا التأويل بالتفسير، وهو المعنى الذي شُرح به معنى التأويل في النصوص والآثار النبوية وما ورد عن الصحابة. ولعل الإمام الطبري (ت 310هـ) من أشهر من استعمل مصطلح التأويل ويقصد به التفسير وبيان المعنى القرآني، بدءًا من عنوان تفسيره "جامع البيان في تأويل القرآن" وخلال مقدمته، فاستعمل عبارة "تأويل آيه وتفسير مُشْكِله"، وقال: "ونحن – في شرح تأويله، وبيان ما فيه من معانيه – منشئون – إن شاء الله ذلك – كتابًا مستوعِبًا لكل ما بالناس إليه الحاجة من علمه"[2]. وتواترت في كتابه عبارة: "والقول في تأويل قوله تعالى.."، وصنف وُجوه تأويل القرآن على أوجهٍ ثلاثة: أحدها: لا سبيل إلى الوصول إليه، وهو الذي استأثر الله بعلمه، والوجه الثاني: ما خصَّ الله بعلم تأويله نبيَّه ﷺ دون سائر أمته، والثالث منها: ما كان علمهُ عند أهل اللسان الذي

---

[1] ابن الجوزي، عبد الرحمن، **زاد المسير في علم التفسير** (بيروت: المكتب الإسلامي، 1404هـ)، ج1، ص4.

[2] **تفسير الطبري**، ج1، ص6

نزل به القرآن، وذلك علم تأويل عربيته وإعرابه، لا يُوصَل إلى علم ذلك إلا من قِبَلهم[1]، وواضح أن هذا الصنف الثالث يشمل التفسير والتأويل عند من فرق بينهما، وتحدث عن "أهل التفسير والتأويل"[2]، في سياق واحد دون تفريق بينهما.

لكن الإمام الطبري استعمل عبارة التأويل في سياق الحديث عن التفسير بالرأي، فقال: "ذكر بعض الأخبار التي رُويت بالنهي عن القولِ في تأويل القرآن بالرَّأي"[3]، وقال أيضاً: "فكذلك معنى إحجام مَن أحجم عن القيل في تأويل القرآن وتفسيره من العلماء السَّلف، إنما كان إحجامه عنه حِذارًا أن لا يبلغ أداءَ ما كلِّف من إصابة صوابِ القول فيه، لا على أن تأويل ذلك محجوبٌ عن علماء الأمة، غير موجود بين أظهرهم"[4]. وهذا يحمل دلالة على لحظه فرقاً في المستوى والعمق بين التفسير والتأويل، لا في الاستعمال، وعليه فالتساوي بين المفهومين في الاستعمال لا يعني بالضرورة الترادف بينهما في المعنى.

وقد رجح الطوفي (ت 716هـ) جوازَ استعمال أحدهما موضع الآخر مجازاً، إذ الأصل عدم الترادف عند من يثبته[5]. ويرى ابن تيمية (ت 728هـ) أن التأويل عند السلف هو تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق الظاهر أو خالفه، وأنه متقارب أو مترادف مع التفسير[6]. قال الإمام الزركشي (ت 794هـ): "قيل التفسير والتأويل واحد بحسب عرف الاستعمال والصحيح تغايرهما"[7].

---

[1] **تفسير الطبري**، ج1، ص92-93.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص221.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص77.

[4] المصدر نفسه، ج1، ص89.

[5] انظر: الطوفي، سليمان بن عبد القوي، **الإكسير في علم التفسير**، تحقيق عبد القادر حسين (بيروت: دار الأوزاعي، ط2، 1989م)، ص29.

[6] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **الإكليل في المتشابه والتأويل** (الإسكندرية: دار الإيمان، د.ت)، ص28.

[7] الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الفكر،

ورجح الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (ت 1393هـ) القول بالتساوي بينهما؛ "لأن التأويل مصدر أوَّله إذا أرجعه إلى الغاية المقصودة، والغايةُ المقصودةُ من اللفظ هو معناه وما أراده منه المتكلم به من المعاني، فساوى التفسير، على أنه لا يطلق إلا على ما فيه تفصيل معنى خفي معقول"[1]، واستشهد بالآيات والآثار المستعمل فيها لفظ التأويل.

الاتجاه الثاني: التفريق بين التفسير والتأويل

إذا نظرنا إلى الاستعمال المبكر لمصطلح التأويل في سياقه الأصولي والكلامي كما أوضحناه، فإن الفرق واضح في هذا المجال. فالتأويل متجهٌ ابتداء إلى الآيات المتشابهات، والعملية التأويلية تتمثل في النظر في احتمالات النص وترجيح أحد هذه الاحتمالات بدليل. وللقيام بهذا النوع من التأويل ضوابط وشروط وخطوات تم النظر فيها مبكراً، وتناولها الأصوليون والمتكلمون في مصنفاتهم، بل وضعت للتأويل مؤلفات خاصة تحمل عنوان "قانون التأويل" كالذي وضعه الإمام الغزالي (ت 505هـ)[2] وابن العربي (ت 543هـ)[3]. وقد كان التأويل جزءًا من مشروع ابن رشد (ت 595هـ) الفكري، حيث فصَّل الكلام فيه ضمن كتابه "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال"[4]، وجاء بنظرية للتأويل تجمع بين الفلسفة وعلم الكلام[5].

1988م)، ج2، ص164.

[1] ابن عاشور، محمد الطاهر، **مقدمات تفسير التحرير والتنوير**، علق عليها محمد الطاهر الميساوي (كوالالمبور: دار التجديد، ط1، 2006)، المقدمة الأولى، ص40.

2 الغزالي، **قانون التأويل**، رسالة منشورة ضمن **مجموعة رسائل الإمام الغزالي** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1988م)، وقد طبعت مفردة أيضًا.

3 انظر: ابن العربي، أبو بكر محمد عبد الله، **قانون التأويل**، تحقيق محمد السليماني (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990).

4 ابن رشد، أبو الوليد، **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال** (القاهرة: المكتبة المحمودية، ط3، 1968).

5 انظر: بوهراوة، سعيد، "قانون التأويل عند الغزالي وابن العربي وابن رشد الحفيد"، **مجلة التجديد** (تصدر عن الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا)، المجلد 12، العدد 23، 2008.

هذا المسار الكلامي الأصولي للتأويل ظهر مسار آخر يوازيه وينقضه، رافضاً التأويل وداعماً ما يراه الآخرون أنه مذهب السلف في التفويض في الصفات، فمما أُلِّف في هذا المجال كتاب:" إبطال التأويل" للقاضي أبي يعلى محمد بن محمد الفراء الحنبلي (ت 458هـ)، و"ذم التأويل" لابن قدامة المقدسي (ت 620هـ)، الذي صرح في مقدمته أنه ألفه لذكر "مذهب السلف ومن اتبعهم بإحسان رحمة الله عليهم في أسماء الله تعالى وصفاته"[1].

إذاً ثمة مسار واضح لمصطلح التفسير لم يكن موضع التباس، شاركه أحياناً مصطلح التأويل مطابقة أو في مستوى أعمق فيه، وثمة مسار ثالث لمصطلح التأويل شق طريقه في سياق علم أصول الفقه وعلم الكلام وكان متجهاً بالخصوص لفهم النصوص المشكلة والآيات المتشابهة، لكن هذين المسارين الواضحين لكل من التفسير والتأويل لم يغنيا عن التنظير للفرق بينهما، حتى كثرت الأقوال في ذلك، وقد أفرد البعض رسالة خاصة لبيان الفرق بين التفسير والتأويل[2]، لكن محتواها لم يتجاوز جمع ما أورده العلماء من أقوال في الموضوع، وهي ما سأذكره في الجدول الآتي من مصادره، فجمعت الأقوال من كتب أصحابها أنفسهم ممن أبدوا رأياً في الموضوع أو نقلوه، أو من مصنفات التفسير وعلوم القرآن وكتب المصطلحات والمصنفات العلمية إن ذكرت رأياً أو تبنته في الفرق بينهما، فلم يكن من مصادر ما تتبعت من كَتَب في التأويل فقط دون أن يلحظ فرقاً بينه وبين التفسير.

جدول بيان أوجه الفرق بين التفسير والتأويل عند القائلين به

التفسير	التأويل	القائل أو المصدر الذي أورد القول
أعم: - في الألفاظ ومفرداتها - في الكتب الإلهية وغيرها	أخص: - في المعاني والجمل - في الكتب الإلهية	ذكره الراغب الأصفهاني في مقدمة التفسير، والطوفي (ت 716هـ) في الإكسير في علم التفسير[3].

[1] انظر: المقدسي، ابن قدامة، **ذم التأويل** (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1995م).

2 انظر: العمادي، حامد بن علي، "التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل"، تحقيق حازم البياتي، **المجلة الأحمدية** (الإمارات العربية المتحدة)، العدد 15، رمضان 1424هـ.

3 الأصفهاني، الراغب، **مقدمة التفسير** (القاهرة: المكتبة الأزهرية، 1329هـ)، ص10؛ الطوفي، **الإكسير في علم**

بيان موضوع اللفظ	بيان مراد اللفظ	ذكره في الإكسير[1].
بيان لفظ لا يحتاج إلا وجهاً واحدًا.	توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة.	ذكره صاحب كشف الأسرار، وصاحب مفتاح السعادة[2].
القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا.	ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة.	قاله الماتريدي (333هـ)[3].
بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً. إخبار عن دليل المراد	- تفسير باطن اللفظ - إخبار عن حقيقة المراد	أبو طالب التغلبي[4].
للمعنى الظاهر	للمتشابه	ذكره في التحرير والتنوير[5]
بالرواية	بالدراية	البَجلي (ت 282 هـ)[6]
للصحابة	للفقهاء	ذكره صاحب كشف الأسرار[7]
مقصور على السماع والإتباع	متعلق الاستنباط	أبو نصر القشيري (ت 514هـ)[8]، وذكر ما في معناه في الإتقان[9].

التفسير، ص28.

1 الطوفي، **الإكسير**، ص29

2 انظر: البخاري، **كشف الأسرار**، ج1، ص70؛ طاش كبري زاده، أحمد بن مصطفى (ت 968هـ)، **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1985)، ج2، ص530.

3 البخاري، **كشف الأسرار**، ج1، ص70؛ طاش كبري زاده، **مفتاح السعادة**، ج2، ص530.

4 انظر: السيوطي، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م)، ج4، ص193؛ طاش كبري زاده، **مفتاح السعادة**، ج2، ص530. ونسب بعضهم هذا القول إلى الثعلبي. انظر: العمادي، حامد بن علي، **التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل**، ص37، ولم يعرف بالضبط من هو المقصود.

5 ابن عاشور، **مقدمات التحرير والتنوير**، المقدمة الأولى، ص39.

6 الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج2، ص165.

7 البخاري، **كشف الأسرار**، ج1، ص70.

8 الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج2، ص165؛ طاش كبري زاده، **مفتاح السعادة**، ج2، ص531.

9 السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج4، ص193؛ طاش كبري زاده، **مفتاح السعادة**، ج2، ص531.

توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة.	صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله موافق لما قبلها وما بعدها إذا كان المحتمل موافقًا للكتاب والسنة من طريق الاستنباط.	النيسابوري (ت 406هـ) والبغوي (ت 510هـ) والكواشي (ت 680هـ) الجرجاني(ت 816هـ)[1].
البحث عن سبب نزول الآية وبيان موضع الكلمة، من حيث اللغة.	البحث عن أسرار الآيات، والكلمات، وتعيين أحد احتمالات الآية.	الفيروزآبادي (ت 817هـ)[2].
المنقول عن الصحابة.	ما يستخرج بحسب القواعد العربية.	الكفوي (ت 1094 هـ)[3].
التفسير ما لم يكن مرتبطاً بالإشارات وما عرف به التأويل.	إشارة قدسية ومعارف سبحانية تنكشف من سجف العبارات للسالكين وتنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين.	الألوسي (ت 1270هـ)[4].
التفسير ما ارتبطت قوانينه بعلم اللغة والأدب.	التأويل ما ارتبطت قوانينه بعلم الإيمان، ويضيف فهم القرآن المختص بعباد الله آثرهم بإحاطة من العلم.	الحرالي (ت638هـ)[5].

[1] انظر:البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل: تفسير البغوي**، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش (الرياض: دار طيبة، ط4، 1997م)، ج1، ص46؛ الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج2، ص166؛ الجرجاني، علي بن محمد، **التعريفات**، تحقيق إبراهيم الأبياري (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ)، ص72، 87.

[2] الفيروزآبادي، **بصائر ذوى التمييز**، ج1 ص56.

[3] الكفوي، أبو البقاء، **الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1998م)، ص396.

4 الألوسي، محمود أبو الفضل، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ج 1، ص5.

[5] الحرالي، أبو الحسن، **مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل**، تحقيق محمادي بن عبد السلام الخياطي (الدار البيضاء: النجاح الجديدة، ط1، 2007م)، ص27.

إن تأمل ما ذكر من معان للتفسير يبين أن المقصود به إنما هو تجلية معنى النص في المستوى الأول الذي يمكن فهم النص به، وهذا المستوى يتحدد من عدة عناصر:

- عموم هذا المستوى لجميع أجزاء النص وجميع أنواع الكتب.
- تعلقه ببيان اللفظ ووضعه.
- ضيق الاحتمالات لتعلقه بالمعنى الظاهر .
- إمكان القطع بالمراد منه.
- إخبار عن دليل المراد.
- تعدد موارد معرفة المعنى (الرواية وسبب نزول والاتباع واللغة والأدب).

أما **التأويل** فتشترك جميع المعاني في ضبطه على أنه يمثل مستوى ثانياً من مستويات ضبط المعنى وبيان المراد من اللفظ، ويمكن تلخيص عناصر هذا المستوى بما يأتي:

- خصوص هذا المستوى بالمعاني والجمل، والكتب الخاصة كالكتب الإلهية.
- تعلقه ببيان مراد اللفظ ومقصده أو باطنه.
- سعة الاحتمالات في المعنى لتعلقه بدلالات مختلفة ومحتملة يرجح أحدها بما يظهر من الأدلة.
- صعوبة القطع بأحد المحتملات لتعلقه بالمتشابه، واعتماده على الدراية والاستنباط.
- الحاجة إلى كفاءة خاصة لدى من يمارسه.

وعليه فإن ما ذكر من فروق بين التفسير والتأويل هي في الواقع متعاضدة أكثر منها متنافرة، وعند عرض أيٍّ من الاحتمالات على غيره من الاحتمالات الأخرى نجدها متكاملة، وكل منها يضيء مستوى من مستويات كل من التفسير والتأويل. فالجميع يشير بما ذكره من فرق إلى كون التأويل أعمق من التفسير، وإلى كونه درجة في فهم المعنى تحتاج إلى أدوات التفسير وكفاءة المفسر وزيادة، وأن ضيق الاحتمال وسهولة العثور على المعنى في التفسير تقابله سعة في الاحتمالات وصعوبة في الترجيح

ووعورة في الطريق إلى المعنى في التأويل[1].

هذا ونلحظ مستوى ثالثًا أشار إليه الحرالي وهو "فهم القرآن" الذي خصه بأرباب السلوك وحاول وضع قوانين له، وهو يقابل ما كان يعرف بالتفسير الإشاري أو الصوفي.

خاتمة

يعتبر المصطلح العلمي أسَّ المنهجية في كل العلوم، والمعيار الذي تضبط به المقولات، وتحدد الوجوه والاحتمالات. وقد تأسست كثير من المصطلحات في العلوم الإسلامية واستعملت مبكراً وكانت أسبق من التدوين العلمي، وكثير منها كان متداولاً في النصوص، فتم توظيف كثير من المصطلحات النصية في الاستخدامات العلمية. و لم تكن تلك المصطلحات بمعزل عن سياقاتها اللغوية، لكنها مع تطور العلوم وتدوينها أخذت تتضح استعمالاً وتعريفاً، وكان لها في السياقات التي استخدمت فيها وظيفتها المنهجية، بل كانت أحياناً تحدد هوية الاتجاه الفكري ومساره.

ويمثل مصطلحا التفسير والتأويل نموذجاً لتلك المفاهيم المشكلة والجدلية، وقد كان لهما حضورهما الممتد في التاريخ وفي مختلف العلوم. وقد حاولت هذه الدراسة تتبع استخدامهما بدءاً من نصوص الشرع، فاللغة، فالاستخدام المبكر لهما من قبل العلماء، ووأُتبع ذلك بتوضيح السياقات التي استخدمتهما، ثم بيان ما بينهما من فروق. وفي ضوء ذلك يمكن أن نسجل بعض الملاحظات التي ترسم معالم السيرة الذاتية للمفهومين:

- استعمل مصطلحا التفسير والتأويل في القرآن بمعان لا تخرج عن المعنى اللغوي، وظهر استعمال التأويل في السنة بمعنى يتماهى مع المعنى الاصطلاحي اللاحق.
- تشترك المعاني اللغوية للتفسير والتأويل في كون اللفظين يدلان على المقصد والغاية من اللفظ، عندما يتعلق الأمر بالجانب المعنوي.

---

1 لعل في تعدد ذكر مفردة التأويل وأحادية ذكر مفردة التفسير في القرآن مع نسبتها إلى الله عز وجل إشارة إلى كون التفسير عمل يتصل بما يمكن الجزم به من الفهم، أما التأويل فهو في سياق ما يتعدد فيه الفهم.

• استخدم التفسير والتأويل مبكراً بمعنى واحد لاسيما عند اللغويين والمفسرين، لكن بعض سياقات استخدام مصطلح التأويل كانت تشير إلى تميزه عن التفسير بالعمق.

• ظهر المعنى الخاص للتأويل المتميز عن التفسير مبكراً، وأقدم استخدام اصطلاحي للتأويل يمكن رصده عند الإمام الشافعي في الرسالة، والذي يدل على ارتباطه باحتمالات للنص يتم الترجيح بينها بدليل، وهذا المعنى هو ما اتجهت إليه الاستخدامات الأصولية والكلامية لهذا المصطلح.

• اتسع استعمال مصطلح "التأويل" لدى المتكلمين، وخصوصاً فيما يتعلق بفهم الآيات المتشابهات، ونلحظ هذا الاستعمال بالخصوص عند المعتزلة الذين تصدوا له، وأصبح عنوان مصنفاتهم.

• تحول مصطلح التأويل بعد توسع استخدامه في علم الكلام إلى مطية للتميز والخروج عن رأي الجماعة بدعوى التأويل، وأصبح في بعض السياقات عَلماً يدل على المخالفين، وتحول لاحقاً إلى عنوان للذم والقدح، لما نسب إلى مدعيه من مخالفة غير مؤصلة.

• كان للتأويل مساقات أخرى عززت هذه الجدل حوله، لاسيما مع دخول السياق الفلسفي والاستعمال الصوفي لمصطلح التأويل، مما جعل منه مثار التباس جديد.

وفي العصر الحديث أخذ مصطلح التأويل ومفهومه أبعاداً جديدة ذات ارتباط بالنظريات الفلسفية واللغوية الحديثة وذلك في سياق القراءات المعاصرة للتراث الإسلامي. لكن المنحى الذي سعت هذه الدراسة إلى العناية به هو البعد المفهومي التاريخي لهذين المصطلحين والكشف عن تصوراتهما والفروق بينهما لاسيما في علوم القرآن، وانتهت إلى كونهما مؤشرين مهمين على الوضوح المنهجي في العلوم الإسلامية، وأنهما استخدما لضبط العلاقة مع النص وكشف معانيه.

وفي رأينا أن الاستخدام لمصطلح "التأويل" إنما يدل على سعي لتأصيل الاختلاف في الفهم، وتشريع احتمالات المعنى، وأن النص (قرآنًا وسنة) كما يفهم تفسيراً من ظاهر لغته ورواية تفسيره، يفهم أيضًا تأويلاً بشكل أعمق يغوص على الاحتمالات

المتعددة أو كثرة مستويات الدلالة في هذا النص اعتمادًا على ما يحف به من سياقات وقرائن ودلائل تقود القارئ إلى معنى محتمل للنص قد لا يكون هو المتبادر.

وبكلمة يمكن القول إن التفسير والتأويل مستويان للتعامل مع النص تعين على كل منهما أدوات ومسالك وعناصر تسهم في معرفة المقصد من اللفظ، فهما منطلقان منهجيان لهما ضوابطهما العلمية وامتداداتهما في فروع العلوم الإسلامية، التي يضبط كل منها زاوية من زوايا النظر التفسيري والتأويلي للنص، وهما مع كل هذه الأبعاد درس لغوي بامتياز.

References: المراجع:

Abū Ḥayyān, Muḥammad ibn Yūsuf, *Tafsīr al-Baḥr al-Muḥīṭ* (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1993).

Abū ʿUbaidah, Maʿmar bin al-Muthannā, *Majāz al-Qur'ān,* edited by Muḥammad Fu'ād Sazkīn (Cairo: Maktabat al-Khanjī, 1381).

Al-Ḥarālī, Abū al-Ḥasan, "Miftāḥ al-Bāb al-Muqaffal li Fahmi al-Qur'ān al-Munazzal", in *Turāth Abī al-Ḥasan al-Ḥarālī fī al-Tafsīr*, ed. Maḥmādī ibn ʿAbd al-Salām al-Khayyāṭī (Casablanca: Al-Najāḥ al-Jadīdah, 1st edition, 2007).

Al-Akhfash, Abū al-Ḥasan al-Balkhī, *Maʿānī al-Qur'ān,* ed. Hudā Maḥmūd Qarāʿah (Cairo: Maktabat al-Khanjī, 1st edition, 1411/1990)

Al-Alūsī, Maḥmūd Abū al-Faḍl, *Rūh al-Maʿānī fī Tafsīr al-Qur'ān al-ʿAẓīm wa al-Sabʿ al-Mathānī* (Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʿArabī, no date)

Al-Ashʿarī, Abū al-Ḥasan ʿAlī bin Ismāʿīl, *al-Ibānah ʿan Uṣūl al-Diyānah*, edited by Fauqiyyah Ḥussayn Maḥmud (Cairo: Dār al-Ansār, 1st edition, 1397).

----------, *Maqālāt al-Islāmiyyīn wa Ikhtilāf al-Muṣallīn*, edited by Helmut Ritr (Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʿArabī, 3rd edition, no date).

Al-Baghawī, Abū Muḥammad al-Ḥussayn ibn Masʿūd, *Maʿālim al-Tanzīl (Tafsīr al-Baghawī),* ed. Muḥammad ʿAbd Allāh al-Nimr, ʿUthmān Jumʿah Ḍamīriyyah and Sulaymān Muslim al-Ḥarsh (Riyadh: Dar a-Taybah, 4th edition, 1997).

Al-Bukhāri, ʿAlā' al-Dīn ʿAbd al-Azīz ibn Aḥmad, *Kashf al-Asrār ʿan Uṣūl Fakhr al-Islām al-Bazdawī,* ed. ʿAbd Allāh Maḥmūd ʿUmar (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1st edition, 1997).

Al-Farāhīdī, al-Khalīl bin Aḥmad, *al-ʿAyn*, edited by Mahdī al-Makhzūmī and Ibrāhīm al-Sāmurrā'ī (Cairo: Dār al-Hilāl, no date)..

Al-Farrā', Abu Zakariyya ibn Ziyad, *Maʿānī al-Qur'ān,* ed. Aḥmad Yūsuf al-Najātī et al., (Cairo: al-Dār al-Miṣriyyah li al-Ta'līf, 1st edition, no date).

Al-Fayrūzābādī, Muḥammad ibn Yaʿqūb*, al-Qāmūs al-Muḥīṭ* (no date)

----------, *Baṣā'ir Dhawī al-Tamyīz fī Laṭā'if al-Kitāb al-ʿAzīz*, ed. ʿAbd al-Ḥalīm al-Ṭaḥāwī (Beirut: al-Maktabah al-'Ilmiyyah).

Al-Ghazālī, Abū Ḥāmid Muḥammad Muḥammad, *Qānūn al-Ta'wīl* (Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1988).

Al-Jurjānī, ʿAlī ibn Muḥammad ibn ʿAlī, *al-Taʿrīfāt*, ed. Ibrahim al-Abyari (Beirut: Dār al-Kitāb al-ʿArabī, 1st edition, 1405).

Al-Juwaynī, ʿAbd al-Malik ibn ʿAbd Allāh ibn Yūsuf, *al-Burhān fi Uṣūl al-Fiqh*, ed. ʿAbd al-Aẓīm al-Dīb (Qatar: Published under sponsor of al-Sheikh Khalīfah Al-Thānī, 1st edition, 1399)

Al-Kafawī, Abū al-Baqā', *al-Kulliyyāt: Mu'jam fī al-Muṣṭalaḥāt wa al-Furūq al-Lughawiyyah*, ed. ʿAdnān Darwīsh and Muḥammad al-Miṣrī (Beirut: Muassasat al-Risālah, 1998).

Al-ʿImādī, Ḥāmid ibn ʿAlī, "al-Tafṣīl fī al-Farq bayna al-Tafsīr wa al-Ta'wīl", ed. Ḥazim al-Bayātī, *Majallat al-Aḥmadiyyah,* Uni Arab Emirate, issue 15, Ramaḍān, 1424.

Al-Rāghib al-Aṣfahānī, Al-Ḥusayn ibn Muḥammad ibn al-Mufaḍḍal, *Mufradāt Alfāẓ al-Qur'ān* (Damascus: Dār al-Qalam, 3rd edition, 2002).

Al-Rāghib al-Aṣfahānī, Al-Husein ibn Muḥammad ibn al-Mufaḍḍal, *Muqaddimat al-Tafsīr* (Egypt: al-Maktabah al-Azhariyyah, 1329).

Al-Shāfiʿī, Muḥammad ibn Idrīs, *al-Risālah*, ed. ed. Aḥmad Muḥammad Shākir (Berut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah).

Al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn ʿAbd al-Raḥmān, *al-Itqān fī 'Ulūm al-Qur'ān*, ed. Muḥammad Abū al-Fadl Ibrāhīm (Cairo: al-Haiah al-Misriyyah li al-Kitab, 1974).

Al-Ṭūfī, Sulaymān ibn ʿAbd al-Qawī, *al-Iksīr fī ʿUlum al-Tafsī*r, ed. ʿAbd al-Qādir Ḥasan (Beirut: Dār al-Awzāʿī, 2nd edition, 1989).

Al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn 'Umar, *al-Kashshāf 'an Ḥaqā'iq al-Tanzīl wa 'Uyūn al-'Aqāwīl fī Wujūh al-Ta'wīl* (Riyadh: Maktabat al-ʿUbaykān, 1998)..

Al-Zarkashī, Badr al-Dīn Muhammad ibn 'Abdullah, *al-Burhān fī 'Ulūm al-Qur'ān,* ed. Mustafa Abd al-Qadir Ata (Beirut: ʿAṭā (Beirut: Dār al-Fikr, 1988)

Al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr ibn Yazīd ibn Kathīr ibn Ghālib al-'Āmilī, *Jāmi' al-Bayān fī Ta'wīl al-Qur'ān,* edited by Aḥmad Muḥammad Shākir (Beirut: Muassasat al-Risālah, 1st edition, 2000).

Bouhrawa, Said, "Qānūn al-Ta'wīl ʿinda al-Ghazāli wa Ibn Rushd al-Ḥafīd", *At-Tajdid,* International Islamic University Malaysia, vol. 12, No. 23, 2008.

Ibn Ḥanbal, Aḥmad al-Shaybānī, *Musnad al-Imām Aḥmad* (Beirut: al-Maimanah, no date).

Ibn al-Athīr, *al-Nihāyah fī Gharīb al-Athār*, editor: Maḥmūd al-Ṭanāḥī and Ṭāhir al-Zāwī (Beirut: Dār Iḥyā' Turāth al-ʿArabī, no date)

Ibn al-Jauzī, ʿAbd al-Raḥmān, *Zād al-Masīr fī ʿIlm al-Tafsīr* (Beirut: Al-Maktab al-Islāmi, 1404).

Ibn al-ʿArabi, Muḥammad ibn ʿAbd Allāh, *Qānūn al-Ta'wīl* (Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmi, 1990).

Ibn Fāris, Abū al-Ḥasan Aḥmad, *Muʿjam Maqāyis al-Lughah*, Ed. Abdul Salām Hārun (Beirut: Dār al-Fikr, 1979)

Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram, *Lisān al-ʿArab* (Beirut: Dār al-Ṣādir, no date).

Ibn Nadim, Muḥammad ibn Isḥāq, *al-Fihrist* (no place, no date).

Ibn ʿĀshūr, Muḥammad El-Ṭāhir, *al-Taḥrīr wa al-Tanwīr* (Tunis: Dār al-Tunisiyyah li al-Nashr, 1984).

Ibn Qudāmah, ʿAbdullah ibn Aḥmad al-Maqdisī, *Dhamm al-Ta'wīl* (Beirut: Dār al-Kitāb al-ʿArabī, 1995).

Ibn Rushd, Abū al-Walīd Muḥammad ibn Aḥmad, *Faṣl al-Maqāl fī mā bayna al-Ḥikmah wa al-Sharīʿah min Ittiṣāl* (Cairo: al-Maktabah al-Maḥmūdiyyah, 1968).

Ibn Taymiyyah, Aḥmad al-Ḥarrānī, *al-Iklīl fī al-Mutashābih wa al-Ta'wīl* (Alexandria: Dār al-Īmān, no date).

Muqātil ibn Sulaymān, *al-Tafsīr al-Kabīr (Tafsīr Muqātil),* edited by ʿAbd Allāh Maḥmūd Shaḥātah Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth, 1423).

Tāsh, Kubrī Zādah (Aḥmad ibn Muṣṭafā), *Miftāḥ al-Saʿādah wa Miṣbāḥ al-Siyādah fī Mauḍūʿāt al-Uʿlūm (*Berut: Dār al-Kutub al-ʿilmiyya. 1985).

Zumurrud, Farīdah, *Mafhūm al-Ta'wīl fī al-Qur'ān al-Karīm wa al-Ḥadīth al-Sharīf* (Fes: Ma'had al-Dirāsāt al-Muṣṭalaḥiyyah, 2005).